أهمية العمل التنموي لكبار السن: مالهم وما عليهم في المجتمع الكويتي

بدر العيسى *

* حصل على الدكتوراه في الخدمة الاجتماعية من جامعة مانيسوتا في الولايات المتحدة عام ١٩٨٥م .
يعمل مدرساً في قسم الاجتماع ـ جامعة الكويت .

الملخص

تدور محاور هذه الدراسة حول إبراز دور كبار السن في الأعمال التنموية ، والمشاركة المجتمعية التي تحدّدها قدراتهم الصحية والعقلية والجسمية ، وذلك من خلال استخدام نظرية فك الارتباط ، ونظرية النشاط ، ونموذج إعادة التشكيل الذي يؤكد على وجود الأدوار الاجتماعية للمسنين ، ولكن مع بعض التغيرات التي تتلاءم مع طبيعتهم وأعمارهم ، وعليه تقترح الدراسة أن يكون هناك نموذج متكامل يعالج إمكانية الاستفادة من هؤلاء المسنين في القضايا التنموية والإحساس بوجودهم داخل المجتمع .

مقدمة

تشير العديد من الدراسات إلى أن مشكلات كبار السن لا تتمثل فقط في المعاناة الجسمية نتيجة لإصابتهم بأمراض الشيخوخة أو بعض الأمراض المزمنة ، بل إنها تتعدى ذلك إلى مشاعر البؤس والشقاء التي تنتج عند إحساسهم بأنهم أصبحوا بلا فائدة في المجتمع ، وإلى مشاعر الوحدة واليأس التي تنتابهم ، خصوصًا أولئك الذين أصبحوا بلا أبناء بعد أن انتقلوا إلى حياة جديدة وكوّنوا أسراً بعيدة عن أسرهم الأصلية ،فأصبح من الواجب التفكير في أن مشكلة كبار السن ليست فقط في ضرورة توفير المسكن والملبس والمأكل باعتبارها حاجات مادية ضرورية فضلاً عن الرعاية الطبية ، بل إن سياسات الرعاية لكبار السن يجب أن تمتد إلى إشراك كبار السن (من له القدرة) في البرامج التنموية التي تتناسب مع قدراتهم العقلية والجسمية ،لإشعارهم بأهمية الدور الذي يمكن أن يقوموا به ، حتى يعطيهم الأمل والحياة في المجتمع ، ويتوفر لهم الرضا والاستقرار النفسي .

والشيخوخة هي مرحلة في التطور لحياة الإنسان ،والتي نشترك فيها جميعاً ،حيث نمّر بمراحل التطور العمري الذي يبدأ من فترة تكوين الجنين في رحم الأم حتى مماته ،أي جميعنا سوف نصل إلى سن الشيخوخة ، ولكن تأثرنا بهذه المرحلة سوف يكون مختلفاً من شخص لآخر لاعتبارات متعددة ، أهمها العوامل النفسية والاجتماعية والعضوية والكيميائية التي تحدث داخل الجسم ، ولأن التغيرات العضوية المصاحبة لهذه المرحلة قد درست بطرق سلبية ، إذ غالباً ما ينظر لمرحلة الشيخوخة على أنها عبارة عن إشارة إلى فساد عضوي يصيب الإنسان ، أكثر مما هي عبارة عن تطور في حياة الإنسان[١] .

فالتغيرات العضوية حتمية على الإنسان ، ولكن تأثير هذه التغيرات على عملنا في الحياة يمكن أن يكون نسبيًا طالما نستطيع التكيف مع هذه التغيرات ، وإن التطورات التي تحدث في التركيب العمري لسكان أي مجتمع يكون لها نتائج

بعيدة المدى في النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، ومن المهم جدًا متابعة هذه التطورات ودراستها بدقة عند رسم سياسة التنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد .

ومن أهم هذه التطورات في التركيب العمري للسكان هي ظاهرة التقدم في العمر وزيادة عدد المسنين ونسبة المعمرين ، خاصة وقد تحسنت مستويات الخدمات الصحية الوقائية منها والعلاجية ، فاتجهت معدلات الوفيات إلى الانخفاض السريع والمستمر ، مما أدى إلى زيادة المعمرين وفرص الاستفادة منهم .

سوف ينصب اهتمام الباحث هنا على مدى إمكانية مشاركة فئة المسنين المقتدرين في دولة الكويت في بعض الأنشطة أو البرامج التنموية التي تتناسب مع قدراتهم الجسمية والعقلية كنوع من التقدير والاعتزاز بهم من جانب الدولة والمجتمع ، مستخدماً في ذلك نموذج Bengton لإعادة البناء الاجتماعي ونظرية فك الارتباط ونظرية النشاط التي تؤمن بأن الحفاظ على مستوى النشاط للعمر الوسيط هو السبيل الأفضل لتغلب الفرد على ملابسات كبر السن .

أهداف الدراسة

يأتي دور كبار السن في البرامج التنموية كأحد الأهداف الأساسية لهذه الدراسة ، والتي تتناول فيها مدى إمكانية إشراك كبار السن في العملية الإنتاجية ، وهل يمكن الاستفادة من القدرات والإمكانيات العقلية والجسمية المحدودة للمسن في إنجاز البرامج التنموية؟ هذا إذا اعتبرنا التنمية تستند إلى مشاركة أكثر من أفراد المجتمع في الاستفادة من عائد إنتاج السلع والخدمات ، هناك نواح تنموية في جميع مراحل حياة كل فرد ، بالحياة الأسرية يعتبر قضية للشباب ، والتكيف على أن يكون جد أو جدة هو عمل للأفراد الراشدين ، لأننا نشترك في سيسيولوجيا وثقافة عامة ، وهناك أنظمة في القضايا أو الأعمال يجب على كل فرد مقابلتها عندما يتقدّم بالسن .

فرضية الدراسة

تناقش هذه الورقة فرضية أساسية تدور محاورها حول مدى إمكانية المسن في المساهمة في البرامج التنموية المجتمعية من جهة ، ومدى ما توفره الدولة من برامج وفرص عمل للمسنين تتناسب مع قدراتهم العقلية الجسمانية من جهة أخرى ، على اعتبار أن العمل التنموي والمشاركة في الأعمال المجتمعية ما هي إلا طريقة لاستمرار اشتراك المسنين في الشبكات الاجتماعية خارج نطاق الأسرة .

المفاهيم المستخدمة في الدراسة

ظلّ علماء الاجتماع لفترة طويلة يستخدمون العمر كمتغير مؤثر Inter-vening Variable لتفسير المشاركة في الأعمال التنموية ، كما استخدم الباحثون في علوم الشيخوخة مفهوم المشاركة أو المساهمة في البرامج التنموية كمتغيرات لتفسير العلاقة بين النشاط والرضا في الحياة لدى الأشخاص المسنين ، أي الشعور الذي يشعر به المسن عندما يقوم بعمل ما ، وهو شعور ذو جانبين : الجانب الأول هو إبراز قدرات المسن للقيام بهذا العمل في الوقت الذي كنا متشككين فيها ، والجانب الآخر هو الارتياح من إتمامه للعمل الذي أعطاه دورًا وقيمة اجتماعية في هذه الحياة ، مع الاستفادة من وقت الفراغ الذي هو المشكلة الأساسية التي يعاني منها معظم المسنين[٢] .

إذن من أهم المفاهيم التي سوف نتناولها في هذه الدراسة :

العمل التنموي

وهو دور أو عمل فردي أو أسري أو مجتمعي ، يستطيع أن يؤديه المسن ليستثمر فيه قدراته ومهاراته العقلية الجسمية المحدودة ، لكي ترجع بالنفع للمسن نفسه ولمجتمعه ، ويرغب معظم المسنين في هذا العمل أن تظل لهم روابط مع

بيئتهم الاجتماعية ،ويختلف مدى حجم أو كثافة هذه الروابط تبعاً للأفراد من حيث أنماط القيم والمفاهيم الذاتية التي قد برزت منذ فترة طويلة[٣].

ومن أمثلة هذه الأعمال التي يمكن أن يقوم بها المسن :

ـ أعمال ترفيهية واستغلال وقت الفراغ (ترفيه عام وخاص ، مرشد سياحي ، مرشد آثار) .

ـ أعمال ثقافية (الفنون والموسيقى والكتابة والمسرح) .

ـ أعمال تعليمية (مثل التدريس في المدارس الخاصة أو العامة ،مراكز محو الأمية ، رياض الأطفال) .

ـ أعمال اقتصادية (الأنشطة الاقتصادية والتجارية بجميع أنواعها) .

ـ أعمال مدنية (مثل تسجيل الناخبين ،لجان انتخابية ، محاضرات عامة) .

ـ خدمات المساعدة النفسية والاجتماعية (مثل زيارات ودية للعجزة ، حضور برامج في دور التمريض ، مساعدة أسر الأسرى والشهداء) .

ـ أنشطة البيئة الطبيعية (مثل أعمال مكافحة التلوث ، تعليم وممارسات المحافظة على البيئة ، تطوير الملاعب والمنتزهات ، محلات النظافة العامة ، مراكز إعادة تصنيع المخلفات) .

ـ برامج الهدايا (مثل تقديم الطعام والملابس والأجهزة المنزلية في حالات الطوارئ ، مكاتب هدايا الأعياد ، محلات بيع الملابس والمواد المستعملة) .

ـ خدمات النقل (المساعدة في أعمال انتقال المسنين والمرضى والمعاقين والمحتاجين) .

ـ إعادة علاقات ما بين المجموعات العرفية (مثل تكوين تحالفات بين الطوائف الدينية أو الحزبية لمناقشة القضايا المشتركة ،إعداد مواد تعليمية لتحسين صورة الأقليات) .

- خدمات الإسكان (مثل تحسين المباني القائمة في المناطق الفقيرة ، المشاركة في برامج غير ربحية لبناء مساكن جديدة ، المساعدة لصيانة المساكن) .

- الحقوق القانونية وتنفيذ القانون ومنع الجريمة (مثل العمل مع الأحداث لمنع الانحراف ، برامج المراقبة القضائية ، الخدمات القانونية ، برامج في مؤسسات الأحداث والسجون) .

- العمل والوظائف (مثل الاستشارات المهنية ، خدمات التوظيف ، تحسين المهارات) .

- التغذية (مثل تعليم طرق اختيار وإعداد الطعام ، برامج التغذية بالمدارس ، برامج الوجبات السريعة ، برامج توزيع الغذاء) .

- المشاريع (مثل الاستشارات الفنية أو المالية للأنشطة الاقتصادية ، التدريب الإداري) .

المشاركة

ويعرّف السيد الحسيني في دراسته عن المشاركة الشعبية واللجان الاستشارية أنها : قدرة العناصر النشطة في المجتمع المحلي على فهم طبيعة السياق الاجتماعي ، ومحاولة تغييره إلى الأفضل ، من خلال جهودها وجهود الأفراد الذين يعيشون في هذا المجتمع ، واستغلال كافة الطاقات البشرية والمادية المتاحة ، مع التغلب الدائم على كافة المعوقات التي تعترض هذه العملية[٤].

المسن

ورد في تقرير السكرتير العام للأمم المتحدة رقم ٩١٢٦/أ بتاريخ ١٩٧٣/٨/٢٨ عن المسنين (والذي وضع بناء على قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة رقم ٢٨٤٢) والذي قدم للمجلس الاقتصادي والاجتماعي عام ١٩٧٣ ، ويشير إلى أن البعض تبدأ عليه الشيخوخة في سن ٤٥ سنة ، بينما تبدو لدى

البعض في سن ٧٥ سنة ، وبينما يبقى أغلب الناس فوق سن ٦٥ سنة في بيوتهم ، ويعتبرون قادرين نسبيًا على رعاية أنفسهم ولكن قدراتهم تتناقص .

ويشير التقرير إلى أن الكثير من المسنين يعيش في حالة جسمية ممتازة ليس لهـا أي اضطراب أو عـجـز ذهني أو عـقلي أو نفـسي ، ويعـرف المـسنون ديمغرافيًا وإحصائيا بأنهم ذوو الأعمار ٦٠ سنة فأكثر[٥].

وسوف نعتمد في دراستنا على سن ٦٠ سنة في البداية لسن الشيخوخة، وذلك عند التعامل مع الموضوع إحصائيًا على أساس ما تجري عليه الغالبية في المجتمع الكويتي .

حجم مشكلة المسنين وتطورها

تتميز دولة الكويت كغيرها من الدول النامية بهرم سكاني يتكون من :

١ـ قاعدة الهرم السكاني : وتمثل الأطفال أقل من ٩ سنوات .

٢ـ جسم الهرم السكاني : ويمثل الأفراد من سن ٩-٦٠ سنة .

٣ـ قمة الهرم السكاني : وتمثل المسنين من سن ٦٠ سنة فأكثر .

وقد أظهرت نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٩٥ كما أوردتها وزارة التخطيط في دولة الكويت[٦] أن قاعدة الهرم السكاني في دولة الكويت (نسبة الأطفال أقل من ٩ سنوات إلى جملة السكان) تمثل حوالي ٣٣,٦٪ من جملة السكان ، بينما كانت قمة الهرم السكاني (نسبة المسنين ٦٠ سنة فأكثر) ٣,٨٪ من جملة السكان .

وتظهر هاتان النسبتان أن نسبة ليست ضئيلة من سكان دولة الكويت من السن الصغير يشكل أعباء على اقتصادها ، وهو الأمر الذي ينتج عادة بتأثير مباشر من عامل الخصوبة الذي ما زال مرتفعا نسبيا ، وكذلك انخفاض معدلات وفيات الأطفال الآخذ في الانخفاض بفعل التقدم الملموس في الرعاية الطبية والصحية (انظر جدول رقم ١) .

جدول رقم (١)

تقديرات أعداد السكان الكويتيين في منتصف

عام ١٩٩٥ حسب العمر والنوع

العمر	ذكور	إناث	جملة
٠ - ٣	٦١٨٦٨	٥٩٠٠٢	١٢٠٨٧٠
٥ - ٩	٧٥٦٩٤	٥٥٣٥٢	١١٣٠٤٦
١٠ - ١٤	٤٢٣٣٣٢	٤١٤٥٠	٨٣٧٨٢
١٥ - ١٩	٣٧١٤٠	٣٦٤٣٨	٧٣٥٧٨
٢٠ - ٢٤	٣٢٣٢٧	٣١٧٥٥	٦٤٠٨٢
٢٥ - ٢٩	٢٧٠٤٣	٢٦٤١٧	٥٣٤٦٠
٣٠ - ٣٤	٢٢٢٣١	٢٢٠٩٠	٤٤٣٢١
٣٥ - ٣٩	١٦٨٤٩	١٨٤١٢	٣٣٢٦١
٤٠ - ٤٤	١٢٥٥٤	١٤٢٩١	٢٦٨٤٥
٥٠ - ٥٤	٨٣٠٧	٨٦٩١	١٦٩٩٨
٥٥ - ٥٩	٨٢٣٣	٦٦٤٢	١٤٨٧٥
٦٠ - ٦٤	٥٨٥٣	٤٦٥١	١٠٥٠٤
٦٥ - ٦٩	٤٣٠١	٢٩٩١	٧٢٩٢
٧٠ - ٧٤	٢٥٩٠	١٩٥٩	٤٥٤٩
٧٥ - ٧٩	١٦٤٧	١٠٦٩	٢٧١٦
٨٠	١٠٦١	٧٨٩	١٨٥٠
الجملة	٣٥١,٠٩٩	٣٤٣,٢٧٥	٦٩٤,٣٥٦

المصدر: جريدة الوطن، الجمعة ١٩٩٤/١١/١١ العدد ١١٤٨/٦٧٣٨ السنة ٣٣ ص٣.

وقد أظهرت التقديرات انخفاضاً في جملة أعداد السكان في منتصف العام ١٩٩٥ بلغ ١,٦٩٠,٥٣٥ نسمة ،عنه في منتصف عام ١٩٩٠م حيث بلغ ١,١٢٥,٠٥٣ نسمة ، وعنه في منتصف عام ١٩٨٥ حيث بلغ ١,٧١٩,٦٣٧ نسمة .

كما ظهر انخفاض واضح في أعداد غير الكويتيين حيث بلغ ٩٩٦,١٧٩ نسمة فقط ،فيما بلغ حتى منتصف ١٩٩٠م ١,٥٦٠,٧١٩ نسمة ،وحتى منتصف ١٩٨٥م ١,٢٤٥,٦٥٩ نسمة .

هذا وسجلت أعداد الكويتيين ارتفاعاً نسبيًا ،حيث ستبلغ جملتهم حتى منتصف ١٩٩٥م ٦٩٤,٣٥٦ نسمة قياساً إلى ٥٦٤,٢٦٢ نسمة في منتصف ١٩٩٠ وإلى ٤٧٣,٩٧٨ نسمة في منتصف عام ١٩٨٥م .

وسجّلت جملة الذكور ارتفاعاً واضحاً بلغ ١,٠٣٨,٨١٤ نسمة عنه في تعداد عام ١٩٨٥ حيث بلغت جملتهم ٩٦٥,٢٩٧ نسمة ،كما سجّلت جملة الذكور الكويتيين ارتفاعاً واضحاً حيث بلغت جملتهم حتى منتصف عام ١٩٩٥م (٣٥١,٠٩٩) نسمة فيما بلغت أعدادهم وفق تعداد عام ١٩٨٥م (٢٣٨,١٨١) نسمة فقط .

فيما سجلت جملة الإناث انخفاضاً ملحوظاً بلغ ٦٥١,٧٢١ نسمة في منتصف عام ١٩٩٥م عنه في تعداد ١٩٨٥م حيث بلغت جملتهم ٧٣٢,٠٠٤ نسمة ، ولكن سجلت جملة الإناث الكويتيات ارتفاعاً ظاهراً بلغت جملتهن حتى منتصف ١٩٩٥م (٣٤٣,٢٥٧) نسمة عنها في تعداد ١٩٨٥م حيث بلغت ٢٣٢,٢٩٢ نسمة .

وبالنظر للفئات العمرية للسكان ، يلاحظ أن المواليد وحتى الأطفال في سن الرابعة ، يسجّلون انخفاضاً في جملتهم بلغ ١٧٩,١٤١ نسمة حتى منتصف ١٩٩٥م إلى ٢٤٢,٢٠٠ نسمة في تعداد ١٩٨٥م ، ولكن لوحظ ارتفاع نسبة الكويتيين بينهم من ٨٣,٥٣٥ نسمة في تعداد ١٩٨٥م إلى ١٢٠,٨٧٠ نسمة حتى منتصف ١٩٩٥م ، مع انخفاض واضح في نسبة غير الكويتيين وهي من ١٥٨,٦٦٥ نسمة عام ١٩٨٥م إلى ٥٨,٢٧١ نسمة حتى منتصف عام ١٩٩٥م .

أما بالنسبة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ إلى ٩ سنوات فقد سجلت جملتهم ارتفاعاً كبيراً وصل من ٢١٠,٣٨٧ نسمة في تعداد عام ١٩٨٥م إلى ١,٦٩٠,٥٣٥ نسمة حتى منتصف عام ١٩٩٥م ، مع ارتفاع نسبة الكويتيين بينهم والذي وصل من ٧٣,٢٦٩ نسمة إلى ١١٣,٠٤٦ نسمة وانخفاض كبير في أعداد غير الكويتيين بينهم من ١٣٧,١١٨ نسمة في عام ١٩٨٥م إلى ٦٥,٣٢٢ نسمة حتى منتصف عام ١٩٩٥م .

وكذلك الحال بالنسبة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٠سنوات إلى ١٤ سنة ،فقد انخفض إجمالي أعدادهم من ١٧٢,٤٩٨ نسمة في تعداد عام ١٩٨٥م إلى ١٣٧,٦١٤ نسمة حتى منتصف عام ١٩٩٥م ، صاحبه ارتفاع في أعداد الكويتيين بينهم من ٦٣,٩١٧ نسمة عام ١٩٨٥م إلى ٨٣,٧٨٢ نسمة حتى منتصف عام ١٩٩٥م ، وانخفاض في أعداد غير الكويتيين من ١٠٨,٥٨١ نسمة إلى ٥٣,٨٣٢ نسمة حتى منتصف عام ١٩٩٥م .

أما الفئات التي تتراوح أعمارها بين ٦٠-٦٤عاماً فقد ارتفع الإجمالي من ١٥,١٧١ نسمة حسب تعداد عام ١٩٨٥م إلى ١٧,٨٨٧ نسمة بمنتصف عام ١٩٩٥م ، صاحبه ارتفاع وصل إلى حوالي الضعف في أعداد الكويتيين فقد ارتفع عددهم من ٥,٨٩٤ نسمة في تعداد عام ١٩٨٥م إلى ١٠,٥٠٤ نسمة حتى منتصف عام ١٩٩٥م مقابل انخفاض بسيط في أعداد غير الكويتيين .

ولكن بالنسبة للفئات العمرية التي تزيد عن ٦٥ عاماً ،فقد أخذت تسجل مع السنوات انخفاضاً كبيراً يزداد بزيادة العمر ، فقد سجّل تعداد عام ١٩٨٥م أن إجماليهم بلغ ٢٠,٨٥٦ نسمة وبلغ عدد الكويتيين بينهم ١٠,٦٤ نسمة ، وغير الكويتيين ١٠,٧٩٢ نسمة ،فيما يتضح من التقديرات حتى منتصف عام ١٩٩٥م الانخفاض الكبير في أعدادهم حيث يصل بين الفئات العمرية من ٦٥ إلى ٦٩ عاماً نحو ١٠,٢٨٩ ، يسجل الكويتيون بينهم ٧,٢٩٢ نسمة ، ومن تتراوح أعمارهم

بين ٧٠ إلى ٧٤ عاما ٥,٩١٠ نسمة يسجل الكويتيون بينهم ٤,٥٤٩ نسمة ، ومن تتراوح أعمارهم بين ٧٥ إلى ٧٩ عاماً ٣,٣٤٨ نسمة يسجل الكويتيون بينهم ٢,٧١٦ نسمة ، أما الأعمار التي تزيد عن الثمانين عاماً فلم تشكل أكثر من ٢,٤٤٠ نسمة فقط يصل أعداد الكويتيين بينهم إلى ١,٨٥٠ نسمة ، ويمكن الربط بين أسباب المدنية الحديثة واعتماد غذائنا على المواد المصنعة مع الاختفاء التدريجي للأغذية الطبيعية بالإضافة إلى ارتفاع نسبة التلوث الجوي عاما بعد عام والتي أثرت جميعها على انخفاض معدل الأعمار مع مرّ السنوات عما كان عليه قبل ١٠ سنوات فأكثر .

مساهة المسنين في قوة العمل في دولة الكويت

تتمثّل القوة العاملة من السكان في سن معينة في القادرين على العمل ويعملون فعلاً أو راغبون في العمل ويبحثون عنه ، وتختلف حدود السن لقوة العمل سواء الحدود الدنيا أو الحدود العليا بين دولة وأخرى ، إلا أن التوصيات الدولية تحاول التنسيق بين الدول في هذا المجال ، وبالنسبة لدولة الكويت تختلف حدود السن الدنيا والعليا طبقاً للوائح والتشريعات بين القطاعات المختلفة الحكومية والخاصة ، وإذا ما نظرنا بصفة عامة إلى عدد ونسبة الداخلين في قوة العمل من المسنين في دولة الكويت لعام ١٩٨٨م من سن ٦٠ إلى ٦٤ سنة سنجد أن نسبة مساهمة المسنين في قوة العمل قد بلغت ١,٩٪ من جملة السكان الكويتيين ، وبلغت نسبة مساهمة المسنين غير الكويتيين في قوة العمل لنفس الفئة العمرية إلى ٤,٥٪ ، أما مساهمة الفئة العمرية من ٦٥ فأكثر فقد بلغت نسبتها من الكويتيين ١,٥٪ أما غير الكويتيين فقد وصلت أيضاً إلى ١,٥٪ [٧].

هذا يبين أن المسنين في المجتمع يمثّلون قوة إنتاجية حتى لو كانت بسيطة فإنه لا يمكن تجاهلها أو إهمالها في العملية التنموية ، ولا بدّ أيضاً من رعايتها والاهتمام بها والعمل على رفع مستواها في نواحي الحياة المختلفة ،

سواء كانت النواحي الصحيـة أو الاجتمـاعية مما سيـؤثر بالتالي على الحالـة النفسـية لهم ويؤثر في النهـاية على مدى استعـدادهم وتقبلهم للمساهمة في سوق العمل (انظر جدول رقم ٢) .

جدول رقم (٢)

الحالة العملية

فئات العمر والنـوع	صاحب عمـل	يعمـل لحسابـه	مستخدم بأجـر	يعمـل بدون أجر	جملـة المشتغلين
٦٠ ـ ٦٤ كـويتي	٤٢٠	٨٤	٥٢٥	--	١,٠٢٩
غير كويتي	٤٨٣	٦٦٧	٤,٩٢٢	٢٣	٦,٠٩٥
جملـة	٩٠٣	٧٥١	٥,٤٤٧	٢٣	٧,١٢٤
٦٥+ كـويتي	٤٢٠	٢١	١٢٦	--	٥٦٧
غير كويتي	١١٥	٢٠٧	١٢٦	--	١,٤٢٦
جملـة	٥٣٥	٢٢٨	١,١٣٠	--	١,٩٩٣
الجملة كـويتي	٤,٧٠٤	٦٣٠	١٠٦,٨٦٩	٢١	١١٢,٢٢٤
غير كويتي	٩,١٣١	١٤,٢٦٠	٥٧٩,٧٦١	٦٢١	٦٠٣,٧٧٣
جملـة	١٣,٨٣٥	١٤,٨٩٠	٦٨٦,٦٣٠	٦٤٢	٧١٥,٩٩٧

المصدر : وزارة التخطيط ، المجمـوعة الإحصائية السنوية العدد الثلاثون ١٩٩٣ ص ٩٤ .

الأدبيات السابقة والإطار النظري

هناك العديد من النظريات والدراسات التي تناولت العمل التنموي والمشاركة للمسنين في المجتمعات الغربية على مختلف المستويات المعيشية بالنسبة للمسنين من جهة ، وعلى مختلف القطاعات أو المجالات التي يمكن أن يساهم فيها المسن من جهة أخرى (Jirovec ١٩٩٢ ، Wenger ١٩٩٠ ، Swi-١٩٩٢ gert، Singleton، Ainlay) ، بينما تعاني الأدبيات على مستوى الوطن العربي من قلة الأطروحات التي تناقش أو تعالج مثل هذه المواضيع التي هي في أمس الحاجة إليها ، وكنتيجة إلى ظهور أنظمة أو برامج تستغل طاقات ومهارات وخبرات هؤلاء المتقاعدين والمقتدرين في الأعمال التنموية كأسلوب علاجي للمشكلات التي يعاني منها المسنون وكأداة لتحسين التطورات الذهنية السلبية التي يكونها معظم أفراد المجتمع عن المسنين عامة ، فأصبحت هذه الفئة ظاهرة تستوجب الدراسة والتحليل ، خصوصاً من قبل الباحثين والدارسين في المجتمعات العربية ، وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك محاولات قبل ذلك ، حتى وإن كانت جهوداً فردية متناثرة غير مستهدفة في ذاتها ، ولكنها أبرزت بعض المؤشرات حول أهمية هذا الموضوع (انظر دراسة جلال الدين الغزاوي حول ظاهرة الشيخوخة) ، ونظرية فك الارتباط Disengagement Theory ونظرية النشاط كما يطرحها Cunning and Henry [٨] ، (١٩٦١) مع نموذج Bengton لإعادة البناء الاجتماعي يمكن أن يشكلا الإطار النظري العام للعمل التنموي والمشاركة في هذه الدراسة ، وهذه تعتبر من المحاولات الجادة التي تفسّر التغيرات الاجتماعية والنفسية المصاحبة لمراحل التقدم في عمر الإنسان مع الاحتفاظ بنشاطه .

وتفترض هذه النظرية أنه لكي يستمر المجتمع وينمو لا بد من تنظيم انتقال القوة من أعضائه المسنين إلى الأصغر سنّاً ، وذلك من خلال عملية فك الارتباط ، وهذا يحدث من جانب كبر السن أيضاً ، وإذا رجعنا إلى النموذج العلمي

الذي تستند إليه النظرية ، نجده يشير إلى أن عملية فك الارتباط تأتي كنتيجة لإصابة الذات بالضعف والوهن الذي يجعلها تعجز عن الاستمرار في إعطاء نفس كمية الطاقة التي اعتادت أن تعطيها في السابق لكي تؤدي عملها ، وتستجيب إلى مختلف المواقف التي تفرضها عليها متطلبات البيئة الخارجية .

وعندما يصل المرء إلى مرحلة الشيخوخة تميل الذات إلى توجيه استجاباتها نحو المؤثرات الداخلية بدلاً من استجابتها للمؤثرات التي تحدث خارجها [٩] ، ومع تقدم المرء في السن تتزايد احتمالات الموت ، وهكذا لا يكون بعد ذلك مجزياً للمجتمع عند نقطة ما أن يعتمد على من هم على وشك الموت ، ويصبح من الأفضل أو المريح له أن يتخلى عنهم على مراحل ، وعلى ذلك فرحيل المسن لا يعطّل النظام[١٠] ، وتؤكد النظرية أنه لما كانت عمليات التفاعل التي يفترض قيامها بين الفرد وبيئته تعمل على دعم المعايير الاجتماعية فيها ، فقد يؤدي التقليل من هذه التفاعلات إلى تحرر المسن من معظم القيود التي كانت تفرضها عليه معايير السلوك اليومية ، فمن المتوقع أنه بمجرد أن يبدأ فسخ العلاقات بين كبير السن والأطراف الأخرى فإن هذا يحرره من الالتزام بمعايير سلوكية كانت تحكم تلك العلاقات ، فالعلاقة عكسية طردية ، بمعنى أنه كلما قلّت تفاعلات المسن نتيجة الانسلاخ المتواصل لعلاقاته زاد تحرره من سطوة معايير سلوكية معينة كانت تحكم تلك العلاقات ، فلذلك لا نأخذ أو ندقق بالسلوك السلبي الذي يصدر من المسن إزاء نفسه أو إزاء الآخرين (أي لا نحاسب المسن على أخطائه) ، وتقترح النظرية أيضاً أن كبر السن يفرض على المرء الاستجابة الحتمية للتقدّم في العمر بالانسحاب التدريجي من شبكة العلاقات الاجتماعية ، والتخلي عن أدواره الرئيسية التي كان يشغلها في العمر الوسيط ، وإن هذا الانسحاب يتزامن معه ضد الأطراف الأخرى في منظومات تلك الأدوار لتوقعاتهم من ذلك الفرد وبالتالي انكماش حجم ونوعية التفاعلات معه .

هذا الانسحاب أو التخلي عن الأدوار يكون نحو الاهتمام المتزايد للفرد بنفسه يقابله انشغال متناقض بالآخرين ، ومن ثم فإذا كانت هناك فرص متاحة لقيام المسن الذي فسخ علاقاته وقدراته المتواضعة تسمح له أن يعيش في عالمه الجديد المتركز حول ذاته وذكريات ماضيه فستبقى روحه المعنوية عالية، والعكس هنا صحيح ، بمعنى أنه إذا لم تتوفر له هذه الأدوار فاحتمال قائم وكبير أن روحه المعنوية سوف تزداد تدهوراً مع كل انسحاب .

وعلى النقيض من مخرجات نظرية فك الارتباط نظرية النشاط العمرية Activity Theory التي تؤمن بأن الحفاظ على مستوى النشاط للعمر الوسيط هو السبيل الأفضل لتغلّب المرء على ملابسات كبرالسن ، حيث إنه يصرف النظر عن التغيرات البيولوجية والجوانب الصحية لكبار السن إلا أنهم أساساً لديهم نفس الحاجات الاجتماعية والنفسية التي كانت لهم في السابق ، ومن ثم فهناك علاقة إيجابية بين النشاط والروح المعنوية للمسن ، وهكذا فإنه عندما يفقد الفرد أدواراً معينة كان يؤديها ، أو الطاقة والقدرة على أداء أعمال معينة ، فالطريق الواضح للتكيّف هو أن يجد البديل ، فالأفراد يجب أن يجدوا بدائل من الأنشطة تحل محلّ تلك التي فقدوها [١١] ، أو كما تصفها Lemon ١٩٧٢ وآخرون :

يهيىء النشاط ضمانات مختلفة للدور والتي تكون ضرورية لتأكيد المفهوم الذاتي للفرد ، وكلما كان هذا النشاط واضحاً محدّداً ، كلما زادت قوة ضمانات الدور وتحدّدت أكثر ، وضمانات الدور أساسية لبقاء المفهوم الإيجابي للذات ، وهذه بالمقابل مرتبطة بالرضاء العالي للحياة [١٢] .

ومن المنطلق أيضاً فإن التفاعل الاجتماعي المتناقض للمسنين ينتج من انسحاب المجتمع منهم ، وعليه فالمسن الذي يتقدم في العمر بشكل اعتيادي هو الشخص الذي يبقى نشطاً وفعّالاً وينجح في مقاومة تقلّص عالمه الاجتماعي ويبقى محافظا على فاعليات العمر الوسيط أطول مدة ممكنة .

فهذا الحوار الذي يتم بين أصحاب نظرية فك الارتباط وأصحاب نظرية النشاط له تطبيقات فعالة ومهمة للأعمال التنموية ، وعلى سبيل المثال لو أخذنا المشاركة في الأعمال الخيرية أو الدينية ، وهذه الأعمال كما يعبّر عنا Atchley تأتي في المقام الأول من الأنشطة بين كبار السن(١٣).

ولكن هذا النشاط وغيره من الأنشطة يعتمد بشكل مباشر على الصحة البدنية للمسن سواء على مستوى الأنشطة الرسمية المنظمة أو الأنشطة غير الرسمية وغير المنظمة ، فقد أثار كل من Young and Dowling في الآونة الأخيرة مجموعة من التساؤلات حول تأثير عامل الصحة على مدى المشاركة في البرامج التنموية بين المسنين ، فوجدوا كما كان متوقعاً أن المشاركة أو المساهمة في الأنشطة الرسمية تأخذ في التناقص وأنها في الأنشطة غير الرسمية تأخذ بالازدياد مع العمر ، وكانوا متوقعين أن يجدوا من خلال نتائج الدراسة أن الأشخاص الذين لديهم مشاكل صحية بنسبة أكبر من الأشخاص الذين هم في نفس العمر تكون مساهماتهم المنظمة أقل من مساهماتهم غير المنظمة ، ولكن نتائجهم جاءت مخالفة لهذه التوقعات وأن بحثهم لم يؤيد هذه الفرضية (١٤).

وفي المقابل إذا نظرنا إلى مجال أو نشاط آخر يمكن أن يساهم به الشخص المسن مثل المشاركة السياسية ، فسوف نجد أن هناك مجموعة من الدراسات التي تحدثت في هذا المجال قد توصلت إلى أن أقصى أو أكثر مجال يمكن أن يشارك به المسن هو التصويت ، حيث إن نسبة المشاركة في التصويت تزداد من الشباب إلى متوسطي العمر ، وإذا وصلت فئة كبار السن تظل ثابتة ، بمعنى أن الأشخاص عندما يصلون إلى الشيخوخة لا تزداد مساهمتهم في التصويت عن معدلاتهم السابقة (Glenn and Grimes 1968; Jrnnings Msrkus, 1988' Verban and Nie 1972).

وفي دراسة أخرى قام بها كل من Jirove and Erich 1992 لقياس مدى مساهمة المسنين في المجال السياسي لعينة تتكون من ١١٤ مسنّا ، على اعتبار أن

المشاركة السياسية تقع في أربعة أشكال من الأنشطة السياسية والتي يمكن أن يزاولها المسن وهي : التصويت ، المساهمة في الحملات الانتخابية ، أعمال تعاونية للمرشحين ، واتصالات شخصية أو إلقاء المحاضرات ، وكل من هذه الأبعاد الأربعة للمشاركة السياسية يمكن أن يساهم بها أشخاص مختلفون ولديهم اهتمامات مختلفة ومتنوعة ، فوجدوا في دراستهم هذه أن هناك نسبة كبيرة من العينة تمارس حقها في التصويت ، ونسبة عادية منهم تشترك في حملات انتخابية لصالح المرشحين ، بالإضافة إلى الاتصالات الشخصية لكي يوصلوا وينقلوا آراء وأفكار المرشحين (١٥) ، هذا الاهتمام المتزايد من جانب المسنين لمساهمتهم في التصويت بنسبة أكبر من الأنشطة السياسية الأخرى كما أوضحتها الدراسات السابقة إنما يرجع إلى ممارسة هؤلاء المسنين لحقهم الشرعي في الحياة مهما اختلفت أو تناقصت قدراتهم .

وقام كل من Rabinovich and Mansfield (1992) بدراسة تأثير المشاركة في الأنشطة الترويحية على نزلاء بيوت المسنين (Nursing Home) من الذين لديهم سلوك عدواني أو هائج ، وكانت عينة الدراسة تتكون من ١٣ شخصًا ومتوسط أعمارهم كان ٨١ سنة ، وذلك لمعرفة ما إذا كانت المشاركة أو مجرد حضورهم لثلاثة أنواع من الأنشطة الترويحية يمكن أن يؤثر في مستوى هيجان السلوك لديهم ، فقام الباحثان بعملية التصوير السينمائي لعينة الدراسة (قبل ، خلال ، وبعد) وقت الأنشطة الترويحية ، فتوصلا في النهاية إلى أن مستوى هيجان السلوك كان سائداً بين سبعة مسنين كانوا مشاركين في الأنشطة ، وأيضاً بين المسنين الستة الذين حضروا فقط ولم يشاركوا ، وبسبب صغر حجم العينة لم يكن هناك أي دلالة إحصائية تبين ما إذا كانت المشاركة في الأنشطة أو مجرد الحضور فقط لهذه الأنشطة يمكن أن يزيد أو يقلل من هذا النوع من السلوك (١٦) ، وهنا يحتاج الباحثان في دراستهما هذه إلى زيادة حجم العينة وزيادة نوعية

الأنشطة التي يزاولها المسنون مع اختبار تأثر زيادة الأنشطة في أو على أوقات محددة ،لتساعدنا على معرفة ما إذا كانت المشاركة أو مجرد التواجد في هذه الأنشطة يمكن أن يكون له تأثير على السلوك العدواني .

ويرى Morgan (1988) في دراسته عن اختلافات السن في المشاركة في شبكة الأعمال الاجتماعية ،أن حجم مشاركة المسنين في الأعمال الاجتماعية تحكمها عدة متغيرات ، مثل : المستوى الاقتصادي ، مستوى التعليم ، والصحة أو القدرة العقلية والجسمية كمصادر لهذه المشاركة ، فهؤلاء الذين ليس لديهم هذه المصادر يعانون من الضياع والوحدة ، ويشعرون بأنهم بعيدون كل البعد عن المجتمع ،لعدم إشراكهم في الأعمال المجتمعية ،أما هؤلاء الذين لديهم هذه المصادر فيكون دورهم بارزاً وواضحاً في هذه الأعمال حتى بعد تجاوزهم سن التقاعد (١٧).

البناء الاجتماعي والدور التنموي للمسن

يتعرّض المسنون بصفة خاصة للتفكك أو الانهيار الاجتماعي Social Break Down بسبب تضاؤل قدراتهم الجسمية والعقلية ،وغموض المبادئ المتعلقة بسلوكهم ، ونقص الجماعات المرجعية التي تمد الفرد بمعلومات مناسبة عن نفسه وعن دوره في المجتمع ، وهذا في النهاية يؤدي إلى فقدان المسن لدوره في الأسرة والمجتمع ، وتكون النتيجة شخصاً متقوقعاً ، منعزلاً، سلبيًا وعديم الفائدة ، لا يلقى سوى الإهمال ، وهذا ما يعانيه المسن دائما في حياته اليومية ، وعندما يعمل تحت هذا التصنيف الاجتماعي ، يعمل الفرد مثلما يفترض في المسنين أن يعملوا فيصبح له دور تابع ، وتضمر وتندثر مهاراته السابقة ، وهذا هو أحد محاور نظرية فك الارتباط كما أشرنا إليها سالفاً والذي يمكن أن يحدث من الفرد نفسه أو من المجتمع أو كليهما ، وهكذا نجد أنه في الاحتمال الثالث يمكن أن يكون الفرد والمجتمع وصلوا إلى مستوى الرضا

وقانعين بالنتيجة ، بينما في أي من الاحتمالين الآخرين فإن روحه المعنوية سوف تتدنى على نحو خطير ، وعليه فالمجتمع والفرد كلاهما مسؤول عن فسخ العلاقات حيث إن المجتمع هو الذي يخلق الموقف الذي يقضي بفك أو فسخ الارتباط ، بينما اتجاه المسن نحو الابتعاد يمكن أن يحدّد الشكل الذي ستأخذه العملية ، فالمناقشة هنا إذاً سوف تأخذ اتجاهاً رئيسيّا واحداً ، وهو ما إذا كان للشخص المسن قدرات ومهارات كافية لقيامه بالأنشطة ، ولكن المجتمع ومن خلال الأنظمة المتسعة قد يمنعه من مزاولة هذا النشاط .

بالإضافة إلى أن هناك نوعين آخرين من المسنين ،ليس هنا مجال لعرضهما ، وهما ما إذا كان المسن يرى أن قدراته ومهاراته قد توقفت عن العطاء ولكن لا يرغب بفك هذا الارتباط ويريد أن يستمر في عطائه الضئيل ، والنوع الآخر من المسنين تكون قدراتهم الجسمية والعقلية قد تلاشت وعطاؤهم بدأ يقلّ ، لذلك يطلب منهم المجتمع أن يرتاحوا ليحلّ محلّهم أفراد آخرون أكثر منهم طاقة وقدرات ، ولكن هؤلاء المسنين يرفضون فسخ هذه العلاقات المجتمعية ويصرّون على الثبات في مواقعهم العملية .

ويرى كل من Roman and Taiets (1967) أن عملية فك الارتباط لا تعطي أهمية لتأثير الموقف المحدد اجتماعيّا في حدوث فك الارتباط ، فالقضية الأساسية هنا هي ما إذا كان النمط الملاحظ من فسخ العلاقات نتيجة للفرد نفسه أو المجتمع أو كليهما ، وكذلك يفترضان أن فك العلاقات ما هو إلا نتاج أنساق اجتماعية معينة ، وليس عامة الأنساق[١٨] ، بينما نجد أن Henry and Cumming فسرا الاستعداد بفك الارتباط بأنه نتاج للتقدم في العمر بصرف النظر عن النسق الاجتماعي[١٩] ، أي أن كبر السن له متلازمات معينة مثل ضعف الصحة ، وفقدان الرفاق ، والانكماش العام في العالم الاجتماعي الناشئ عن عوامل مرتبطة بالتقدم في السن ، والتي يبدو أنها تنتج عن الانسحاب الاجتماعي المعروف بفسخ العلاقات أو فك الارتباط .

فإذا استعرضنا محور الدراسة الأساسي وهو المسن ذو القدرات والمهارات والذي من الممكن الاستفادة منه في مواقع مختلفة من الأنشطة عندما يرفضه المجتمع في مجال معين ، أي إعادة صياغة هذه الأدوار في أماكن مختلفة وبدرجات تتناسب مع طاقاتهم الشخصية والاجتماعية ، فقد نرى كما جاءت به الدراسة التي قام بها كل من Payne & Bull (1977) [٢٠] عن القضايا الحرجة والملحة التي ترضي رغبة المساهم أو المشارك في حدود الدور المسنود إليه من خلال نموذج إعادة التشكيل The Restructuring Model على أساس النظرة الاستمرارية ، ويشتمل النموذج على شروط Rosow للدور اللازم ليحلّ محلّ الأدوار التي فقدها المسنون مع ضعف العضوية الاجتماعية مع تفكك الروابط والعلاقات المجتمعية[٢١] ، ونموذج إعادة البناء الاجتماعي Bengston & Kuyper[٢٢] الذي يؤكد على اعتماد إحساس الفرد بالهوية الذاتية والكفاءة الاجتماعية على أنواع التصنيف والتقييم الاجتماعي ، التي يمكن أن يعانيها في سن الشيخوخة ، وتبيّن أيضًا أن المسنين معّرضون بصفة خاصة للانهيار الاجتماعي بسبب فقدان الدور ، وغموض المبادئ المتعلقة بسلوك المسنين ، مع نقص الجماعات المرجعية التي تمدّ الفرد بمعلومات مناسبة عن نفسه وعن دوره في المجتمع ، وتكون النتيجة شخصاً متقوقعاً ومنعزلاً وسلبيًا ، عديم الفائدة لا يلقى سوى الإهمال ، وهذا ما يعانيه المسن دائماً في حياته اليومية ، ومع عمله تحت هذا التصنيف الاجتماعي ، يعمل الفرد مثلما يفترض في المسنين أن يعملوا ، فيصبح له دور تابع ، وتضمر وتندثر مهاراته السابقة .

وقد صمّم نموذج إعادة البناء الاجتماعي للتدخل قبل أن يحدث هذا الانهيار الاجتماعي في الأدوار المناسبة للفئة العمرية ، وهو يفترض أن الأشخاص المسنين لديهم «مجموعة أدوار أو مهام» تتكون من المهارات التي تعلموها في العمل وفي الأسرة وأنشطة أوقات الفراغ ومنظمات خدمة المجتمع

وأماكن العبادة . . الخ ، وأن هذه الطاقات الشخصية والاجتماعية تستخدم في كثير من الأحيان بصورة غير ملائمة أو غير كافية ، وخصوصاً عندما يتقدّم الشخص في العمر ، وأنه توجد هناك أدوار اجتماعية جديدة يمكن إعادة تشكيلها ، ومهارات ومهام يمكن إعادة صياغتها قبل حدوث الانهيار ، أو استخدامها كمدخلات في نموذج Bengton لإعادة البناء الاجتماعي .

إضافة لذلك ، يتطلّب من المسنين بل ويجب عليهم أن يشغلوا مختلف أنواع الأدوار أكثر من أي فترة أخرى في دورة حياتهم ، والإخفاق في تشكيل هذه الأعمال أو الأدوار الجديدة قد يكون مرتبطًا بالعديد من مشاكل المسنين الجسمانية والعقلية والنفسية والصحية التي تتطلب تدخلاً اجتماعيًا من قبل الأخصائيين ، ويعترف نموذج إعادة البناء الاجتماعي بمهارات وموارد الأشخاص المسنين ، ويوفّر لهم دوراً يمكن من خلاله إعادة تشكيل مهارات الدور السابق إلى أدوار مناسبة للسن ، كما يؤكد استمرارية الدور في المشاركة الاجتماعية والسياسية ، ويعرض الشكل كما تراه Payne مثالاً لتطبيق أدوار مشاركة المسنين على نموذج إعادة البناء أو التشكيل الاجتماعي(٢٣).

ويبين الشكل (١) أن هناك مدخلات يجب أن يساهم بها المسنون والمجتمع في نفس الوقت حتى يكتمل الدور ، وهذه المدخلات عبارة عن : استرجاع المدخرات السابقة التي كان يتميز بها المسن ، تحسين الظروف النفسية للمسن من خلال المشاركة ، استخدام جماعات مرجعية جديدة تختلف عن التي كان مرتبطاً بها المسن ، وذلك لتغذيته بالمعلومات التي تفيده في إبراز دوره ، وأن يكون هناك قوة دفع اجتماعية ونفسية من بيئة المسن ، للتأكيد على أهمية قوة دفع اجتماعية ، وأخيراً الثواب والمكافأة من المجتمع عندما يقوم المسن بتحقيق ما هو مطلوب منه .

الشكل (١) أعراض إعادة التشكيل الاجتماعي
حلقة القيم والمهارات من خلال أدوار اجتماعية مجازة

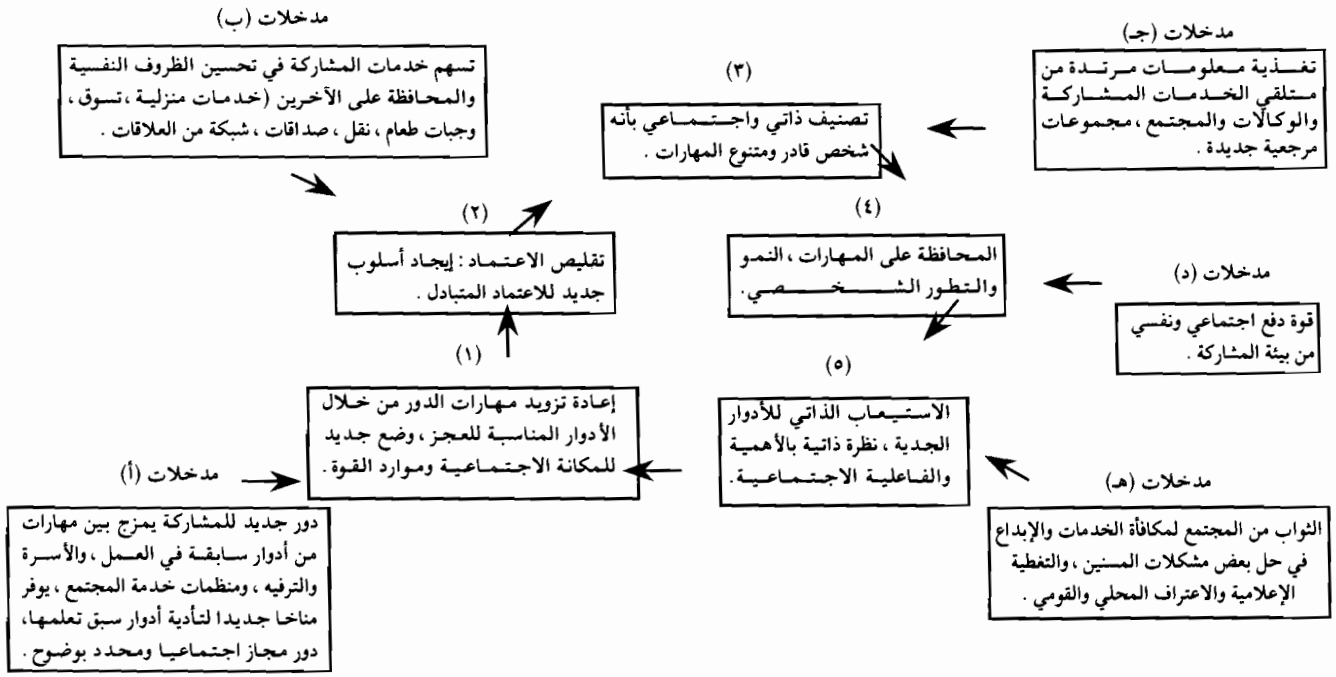

وهذا ما يؤكده أيضاً نموذج النشاط عندما يشير إلى أن على الفرد المتقدم بالسن أن يبقى على أنماط النشاط والقيم المميزة للعمر الوسيط ، وهذه القيم تؤكد أهمية الإبقاء على عدد كبير من الأدوار والقيام بها فعلاً ، وعلى الفرد أيضاً أن يتجنب انكماش نطاق الحياة ، وأن يجد فعاليات بديلة عند الضرورة ، وتشير الدلائل على أنه بالنسبة لمعظم كبار السن فإن مستوى النشاط أو الفعالية الذي نموه على مدى الحياة يميل إلى أن يدوم معهم في سنواتهم الأخيرة[٢٤] ،فإذا نظرنا إلى النسق السياسي مثلاً نلاحظ أن القادة السياسيين في العالم هم من كبار السن ، وتزداد زعامتهم قوة وتدعيماً مع تقدمهم في السن ، شريطة أن تتوفر لديهم ، وبالأخص إذا توفرت السياسات والبرامج الاجتماعية التي تساعد المسن على أن يكون شخصًا منتجاً أو مشاركاً في بعض الأعمال المتأصلة في حياته ، وهذا ما يطرحه Brady (1987) في برنامجه المسمى بـ Elderhostel[٢٥] ، وهذه عبارة عن بيوت ينزل فيها المسنون ، وهي تشابه بيوت الشباب المنتشرة في أوروبا وأمريكا التي تقوم بتقديم برامج متنوعة (تربوية ، ثقافية ،ترويحية من خلال السفر ، اجتماعية ،ومهنية) يكتسب فيها المسنون خبرات جديدة ، وتستند هذه المؤسسات على الإيمان بأن التقاعد لا يجب أن يعني الانسحاب ، وأن المسن لديه الفرصة بأن يتمتع ويكتسب خبرات جديدة تساعده على مواصلة حياته بصورة مرضية ، ويضيف Brady أن برنامج Elderhostel والذي يركز على البرامج التربوية والترويحية من خلال السفر سوف يفيد المسنين المنتسبين إليه في تحقيق أربعة أنواع من العوامل هي :

١ ـ اكتساب المزيد من المعرفة من خلال التسجيل في بعض المقررات الجامعية عن طريق التعليم المستمر .

٢ ـ اكتشاف البيئة والطبيعة من خلال الزيارات لبعض الأماكن والمناطق التي يرغب فيها المسن (مناطق أثرية على سبيل المثال) .

٣ ـ التنمية الاجتماعية الذاتية من خلال التعرف على أصدقاء جدد ، والاطلاع على ثقافات مختلفة ، والتعرف على أهم الأعمال التي يقومون بها في الدول التي يزورونها .

٤ ـ اكتشاف المفهوم الذاتي للمسن ، وهذا يعتبر من أهم العوامل ، حيث يتعرّف المسن على نفسه بشكل مختلف نتيجة للخبرات التربوية التي يمارسها ، وأن هناك أشياء يمكن أن يقوم بإنجازها لو تهيأت له هذه الظروف .

وتعتبر هذه العوامل من ضمن المدخلات لنموذج البناء الاجتماعي لمساعدة المسن على تحقيق دوره في المجتمع .

وعموماً هذه الدراسة لم تدعم اعتقاد نموذج فك الارتباط بأنه نتيجة للكبر في الأشخاص يسعون حتميّا أو اختياريّا للانسحاب من المجتمع للحفاظ على الطاقة الذهنية والجسمية وحتى يكون لديهم الوقت للتأمل ، ومع ذلك فإن شواهد هذه الدراسة ودلالاتها تبيّن أن فك الارتباط ليس هو ما يريده معظم كبار السن ، وإنما هو على أية حال ما يناله هؤلاء علمًا بأن هناك تأثيرات مركبة ومتضاعفة للعوامل البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية يجب أخذها بعين الاعتبار .

١ ـ توفير البدائل ، فالملاحظ أن غالبية المتقاعدين عادة لا يمكنهم الحصول على عمل آخر بسهولة ، وكذلك إذا حدث وفقد الشخص أدواره بسبب التدهور البدني أو العقلي فإن الاستبدال لا يكون الاستراتيجية الحقيقية المتاحة ، ونقصد بالاستبدال هنا إيجاد أنشطة أخرى بديلة عن تلك التي فقدوها .

٢ ـ مدى توفر القدرة والطاقة البدنية والعقلية لأداء الدور البديل بفعالية ، فالصحة والقدرة البدنية حتماً سوف تضع قيوداً وحدوداً على مدى حركته وفعاليته ، وهذه القدرة سوف تتوقف على البيئة التي يعيش فيها المسن وما يقدمه من أنشطة وبرامج وسياسات ، خبرة الحياة الماضية ، توفر البديل ، وقيم الحقبة التي نشأ فيها المسن .

٣ ـ رغبة المسن ، هناك مسنون ليسوا بنشطين ، وليس لديهم ارتباطات اجتماعية زائدة ، ومع ذلك ما زالوا يعلنون عن أنفسهم بأنهم راضون تماماً ، وكذلك توافر الصحة الجيدة وتوفر الدخل المناسب قد يكونان مصدراً لرفع الروح المعنوية للمسن وحب الاختلاط بالآخرين .

الخلاصة والتوصيات

حاولت هذه الدراسة أن تبرز دور المسنين في الأعمال التنموية والمشاركة المجتمعية التي تناسب قدراتهم الجسمية والعقلية والصحية من ناحية ، وتزيد وتنمي من مواهبهم وأنشطتهم المهنية من خلال شغل أوقات الفراغ المتزايد لديهم من ناحية أخرى ، حيث يتم ذلك عن طريق إقناع المهنيين والمسنين أنفسهم بأن معظم المشاكل التي يعاني منها كبار السن مرتبطة بفقدان الدور في فترة التقاعد ، وعلى ذلك فهناك ضرورة ملحة لإيجاد دور اجتماعي بديل هام شبيه بالعمل الخاص بالمتقاعدين ليكتسبوا منه رضاءً كبيراً لأنفسهم .

ولمعالجة هذه القضية استخدمت الدراسة نموذج فك الارتباط ونموذج النشاط مع نموذج إعادة البناء أو التشكيل الاجتماعي الذي يبرز ويحدّد الأدوار الاجتماعية المنهارة للمسنين ، ويقوم بإعادة صياغتها وتشكيلها ، لتظهرها من جديد معتمدة بشكل مباشر على الحالة الصحية للمسنين .

ومن أهم التوصيات التي يمكن أن نخرج بها ونعّزز بها محاور هذه النماذج نحتاج مستقبلاً لعمل ما يلي :

١ ـ نقوم بدراسات ميدانية لقياس وجهة النظر الفعلية للمسنين في دولة الكويت حول ما إذا أمكن أن يستغل مسنّو هذا المجتمع طاقاتهم ومهاراتهم المتبقية لديهم في أعمال تنموية يطرحها عليهم المجتمع مثل بناء السفن ، العمل السياسي ، العمل القضائي ، محو الأمية وتعليم الكبار وغيرها ، مع متابعة هؤلاء الأشخاص خلال فترة محددة من الزمن .

٢ ـ العمل على وضع معايير ومقاييس صالحة لقياس المتغيرات في سلوك المسن المشارك في الأعمال التنموية .

٣ ـ يجب دراسة الأدوار الدفاعية لكبار السن في إطار المنظمات والمؤسسات القومية للمسنين وخلق أدوار جديدة لهم لاتخاذ القرار مع وضع السياسات الاجتماعية للمسنين في المجالس القومية وعلى مستوى الدولة والمجتمع وذلك من أجل تحديد تأثير وقوة هذه الأدوار لدى المسنين .

٤ ـ العمل على إيجاد نموذج متكامل يحاول أن ينظم كل السلوك الاجتماعي للمسنين لاستغلال ما تبقى لديهم من طاقات وروابط اجتماعية ومجتمعية .

٥ ـ استمرار الحوار والتفكير مع كبار السن للاعتراف بوجودهم أحياء يرزقون يحمل معهم دلالة المشاركة في الرأي وتبادل المشورة ، مما يشعر المجتمع أكثر بأهمية العامل الإنساني وأثره في إحداث التقدم ، وقد يكون لأجهزة الإعلام والصحافة ومراكز البحوث دور هام في تعميق المشاركة بين الكبار والصغار دائماً وتنمية دائرة الحوار بينهم .

٦ ـ العمل على مشاركة كبار السن في اتخاذ القرارات على المستوى العائلي ، حتى تتاح الفرصة باستمرار لإثراء عمليات التجديد والتطوير الاجتماعي ، وكذلك تبرز أهمية التصدي لمشكلات الإيواء والإسكان والقضاء على عزلتهم وتيسير كافة مجالات الحياة الاجتماعية الكريمة لهم .

٧ ـ التركيز على الدراسات المتعلقة بعضوية ومشاركة المسنين في الجمعيات الخيرية أو الجمعيات ذات النفع العام وذلك من أجل تحديد :

أ ـ ما هي التغيرات التي حدثت في أدوار القيادة وأدوار المشاركة من جانب كبار السن؟

ب ـ وما هي التغيرات التي حدثت في أنواع العضوية؟

جـ ـ وما هي تأثيرات العضوية على الأفراد؟ هل تحفز اهتمامهم وتوفّر لهم أصدقاء جددا وتعطيهم فرصاً لخدمة أهداف المجتمع؟

وهذه القائمة من القضايا والمسائل المطروحة للبحث لا يقصد بها أن تكون شاملة ونهائية في نفس جوانب المساهمة والمشاركة المجتمعية والعمل التنموي الجديد للمسنين ، ولكن يجب التطرق لها بكل عمومياتها وخصوصياتها لإبراز الدور الحيوي الذي يمكن أن يقوم به كبار السن لو سنحت لهم الفرصة في هذا المجتمع .

الهوامش والمراجع

(١) الغزواي ، جلال الدين : «دراسة سوسيولوجية : حول ظاهرة الشيخوخة ودور الخدمة الاجتماعية» ، **حوليات كلية الآداب** : الحولية التاسعة ، الرسالة الخمسون ١٩٨٧ / ١٩٨٨ ، الكويت : ص ١٢ ـ ١٣ .

(٢) - Rabinovich, Beth A. and Mansfield, Jiska. The impact of participation Structured Recoeational Activities on the Agitated Behavior of Nursing Home Residents: An observational study. Activities, Adaptation and Aging, vol. 16 (4) 1992 p. 89 - 98

(٣) - Payne, Barabara. Voluntorism and Volunteering of the Elderly. Paper presented at the International Sociological Association, X1 the world Congress, Uppsala, Sweeden, August 1978, p. 1.

(٤) الحسيني ، السيد محمد :« المشاركة الشعبية واللجان الاستشارية» ، **دراسة ميدانية** صادرة من المجلس الأعلى لتنظيم الأسرة والسكان ، مكتب البحوث ، القاهرة : ١٩٨٤ ، ص٤ .

(٥) فهمي ، محمد سيد : **الرعاية الاجتماعية لكبار السن** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، جمهورية مصر العربية : ١٩٩٠ ، ص٢٦ ـ ٢٧ .

(٦) **صحيفة الوطن** ، الجمعة ١٩٩٤/١١/١١ ، العدد ١١٨٤/٦٧٣٨ ، السنة ٣٣ ص٣ .

(٧) **وزارة التخطيط** ، الإدارة المركزية للإحصاء ، المجموعة الإحصائية السنوية ، العدد الثلاثون ، ١٩٩٣ ، ص٩٤ .

(٨) - Cumming, Elaine and Henry, William Growing Old, N,y. Basic Books, 1961, pp. 71 - 80.

(٩) دراسة سوسيولوجية ، ص٢٧ ـ ٢٩ .

(١٠) - Atchely, Robert C. The Social Forces in Later Life, 3ed ED. Wardsworth, Inc. Betmont, California, 1980. pp. 25 - 26.

(١١) - Havighurst, Robert J. "Successful Aging" IN Richard, H. Williams, Clark Tibbitts and Wilam Donahue (eds.), "Process of Agign" vol. 1 Atherton Press, N. Y. 1963 pp. 299 - 320.

(١٢) - Lemon, Bruce, Vern Bengtoson, and James Peterson An Exploration of the Activity Theory of Aging: Activity tipes and life satesfaction among in movers to a retirement community. **Journal of**

Gerontology 27 (4): 511 - 23 October 19720

- Atchey, Robert. **Social Forces and Aging**. Belmont, CA. 1991, pp. 11 - 15. (١٣)
- Young, Gay, and Winfred Dowling. Dinensions of Veligiosity in old age: Accounting for vaviation in types of participation. **Journal of Gerontology** 42(4) 376 - 380. July, 1987. (١٤)
- Jirovec, L.R. and Erich, A.J. The Dynamics of Political Participation Among the Urban Elderly. The **Journal of Applied Gerontology**. vol. 11 No. 2, June 1992, 216 - 227. (١٥)
- Rabinavich, Beth and Mansfield, Jiska. Ebid pp. 86 (١٦)
- Morgan, David L. "Age Differences in Social Network Participation "**Journal of Gerontology: Social Sciences**, vol. 43, No. 4 1988 pp. S 129 - 137. (١٧)
- Koman, Paul and Taietz, Philip. Organizational Structure and Disengagement. **Gerontologist**. 7, 1967, 147 - 162. (١٨)
- Cumming, Elaine and Henry, E. William Ibid. (١٩)
- Payne, Barabara and Buil C. Neil. Critical Issues in volunteer satisfaction. Paper presented at the Annual Meeting of the Gerontological Society. San Francisco 1977 pp. 13 - 14. (٢٠)
- Rosow, Irwin. The Social Integration of the aged. Free Press. N. Y. 1967, pp. 103 - 110. (٢١)
- Kuypers, J.A. and Bengston, V.L. Social Breakdoen and competence : Amodel of normal Aging, **Human Development**, No. 16, pp. 181 - 201, 1973. (٢٢)
- Payne, Barabara. Voluntarism and Volunteering of the Elderly, Ebid. pp.9 (٢٣)
- Kiley, W. Matilda and Foner, **Anne Aging and Society**. Vol. 1 Russell Sage Foundation, N. Y. 1968 pp. 418. (٢٤)
- Brady, E. Michael. Patterns of leening Among the Active Elderly: Teh case of Elderhosted Activities, Adaptation & Aging, vol. 9 (4) Summer 1987 pp. 69 - 77. (٢٥)

❋ ❋ ❋